مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17 العدد 02 السنة 2021/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

النص الشعبي ومقتضيات الهوية في قصائد قندوز قادة الوطنية.

مقاربة أنثروبولوجية دينية

The popular text and the requirements of identity in the poems of Kunduz national leaders.
Religious anthropological approach

د. مهدان ليلى*

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة–

mehaddeneleila@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/02/16 تاريخ القبول: 2021/03/21

الملخص:

تبحث هذه الورقة في تركيب الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالهوية والمقول الشعري الشعبي الجزائري، هذا التركيب يثير كل باحث ويجعله يتساءل: هل الهوية الوطنية حالة مضافة وأداة من أدوات الشعر الشعبي الجزائري؟ أم أن الشاعر يتمثلها معتمدا منهج الإسقاط والمحاكاة البناءة مع مجاراة أحكامها؟

وأيا كان الأمر، فإن الأنثروبولوجيا تهتم بهذا المسعى التأريخي للثقافة الشعبية المادية واللامادية، عودة واستعادة للقيم الثقافية والاجتماعية التي بدأت تتلاشى وتندثر خاصة مع زيادة استخدام الوسائط التكنولوجية.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا، المقاومة، الشعر الشعبي، الهوية، الانتصار.

Abstract:

This paper examines the structure of anthropology and its relationship to identity and the Algerian popular poetic saying. This composition raises every researcher and makes him wonder: Is national identity an additive case and a tool of Algerian popular poetry? Or does the poet represent her, relying on the method of projection and constructive simulation while keeping pace with its rulings?

Whatever the case, anthropology is concerned with this historical endeavor of material and immaterial popular culture, a return and restoration of cultural and social values that have begun to fade and disappear, especially with the increase in the use of technological media.

keywords: Anthropology, resistance, popular poetry, identity, victory

---

*المؤلف المرسل: مهدان ليلى، الايميل: mehaddeneleila@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مقدمة:

يدرس علم الأنثروبولوجيا كل ما يتعلق بسلوك الانسان وحياته السياسية والاجتماعية والتراثية والشعبية، بكل ما تحمله من تمثلات وتصورات تشكلت عبر حقب زمنية، وعدت جزءا لا يتجزأ من كيانه الحضاري وامتداده التاريخي والثقافي، وهو ما يمثله موروثه المادي واللامادي الذي يصوغ آلام وآمال وطموحات الفرد الجزائري، لا سيما الأدب الشعبي شعرا ونثرا، فانبرى الشاعر الشعبي إلى المحافظة على مكونات الثقافة الشعبية من خلال ترسيخ قيم المواطنة والهوية والقومية، التزاما بتعاليم الدين الإسلامي وفخرا بالعروبة، وهو ما يؤكد أن الأدب الشعبي يلعب دورا مهما عن طريق القصائد والمرويات والقصص والخرافات والأساطير والأمثال والألغاز والأغاني التي نشأ عليها المثقف والأمي معا.

يهتم الأنثروبولوجيون بهذا المسعى التاريخي عودة واستعادة للقيم الثقافية التي بدأت تتلاشى وتندثر خاصة مع زيادة استخدام الوسائط التكنولوجية والإقبال على العولمة، ناهيك على أن الثقافة الشعبية عامة أمام مجموعة من التحديات على مستوى ثلاث جبهات كالآتي:

"جبهة الماضي وما ألصقه لها الاستعمار من نعوت وأصاف خاطئة وخطيرة

جبهة الحاضر العربي وما يميز المثقف العربي من مواقف عدائية واحتقارية لمظاهرها المادية

جبهة المستقبل وما تريد العولمة فرضه من نماذج ثقافية على الشعوب وعلى حساب ثقافتنا الشعبية" (**عمر قبايلي، الجزائر 2008، ص 174**) غير أنه ونظرا لأهميتها وفعاليتها تم اللجوء إليها مجددا دعما للقضايا الوطنية ووصفا لأهم ممارسات المحتل إبان الثورة التحريرية ومخلفاتها وآثارها الاجتماعية والنفسية واستجلاء لأشكال التعبير في الأدب الشعبي كونه متنفسا يمزج المنطق والحقيقة والخيال معا.

احتفى الشعر الشعبي بموضوع الهوية، وانفعل بمقاربته فنيا وجماليا وحتى أنثروبولوجيا، فأضحى توصيفا يختص به كون المجتمع الجزائري عالم محكوم بأعرافه وتقاليده وعاداته وقيمه، وهكذا انتقل الشعر من حقله الاجتماعي إلى حقل سياسي أكثر اتساعا يدعو فيه الشاعر لضرورة المحافظة على مقومات هوية الأمة التي تحوي العقيدة واللغة والتاريخ والتراث الحضاري، حتى يتمكن الأنثروبولوجي لأن يؤرخ لحياة الفرد وظروفه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية معا، "فالعلاقة بين التراث الشعبي والسياسة والاجتماع، تكمن قصة التاريخ الإنساني، هذا التأريخ الذي يضعه الانسان بعمله وفكره وثقافته وأحلامه وآماله وعندما يحقق بعضا منه، يودعه في قصص وحكايات وأعمال وأفعال ويوصله إلى الجيل الذي يليه ليكمله ويشذبه ويضيف عليه، وهكذا ترسم البشرية مسارا تطوريا لنضالها الاجتماعي والسياسي، وكأنها

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مازالت تعيش لحظات البشرية الأولى" (**ياسين النصير ، المغرب، ط1، 1995، ص 165**) المتعلقة بمظاهر الانسان وظواهر الطبيعة وجميع الوسائط البسيطة التي من شأنها أن تغرس القيم الإيجابية محافظة على مكونات الثقافة الشعبية التي يزخر بها المجتمع الجزائري، أو ما يعرف بالثقافة المحلية مقارنة بالأدب الرسمي، ما جعلها أمام تحديات صعبة للتمسك بها، وجعلها مرجعية ثقافية وتاريخية وحضارية للأجيال القادمة، خاصة إذا كان الشاعر الشعبي يصور ويطرح أفكاره انطلاقا من وجهة نظر مستوحاة من المجتمع ذاته، لذلك لا نلمس اختلافا بين الشعراء الشعبيين في مطارحاتهم المتعلقة بالقضية الوطنية أو الثورة الجزائرية، فكان النص الشعبي استجابة للنسيج الاجتماعي الذي يجمع قيم المواطنة والتضحية والبطولة والمشاركة بالجهاد، فنجد الشاعر يستنهض الهمم ولا يستكين إلى الهدوء والاستقرار كونه محكوم بمتغيرات الحوادث والانتصار والانكسار والهزيمة، محاولة منه الكشف عن ملابسات تطور القضية الوطنية وما يصاحبها من صراعات طبقية وتاريخية، ذلك أنه كلما "اعتبرنا الأعمال الأدبية تعبيرا عن الواقع الخارجي، كان ذلك مدخلا لربطها بتفاعلات المجتمع وأبنيته ونظمه وتحولاته، باعتبار هذا المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية والفنية" (**صلاح فضل، القاهرة، ط1، 2002، ص 46**) عبر تمظهراته ودلالاته وتناقضاته التي تضفي مستوى جماليا عبر أفضيته المتنوعة تفرض حدودا أدبية وأجناسا وظواهر ثقافية تهتم ببناه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية والسياسية المختلفة.

1-حوارية الشعر الشعبي والهوية والأنثروبولوجيا وتعالقاتها:

على الرغم من أن الأدب الرسمي خاض في المسائل المتعلقة بالنظام الاجتماعي من خلال ما يمنحه عالم الواقع للأديب أو الفنان في تشكيا مادته النصية بما يخدم رسالته، كون اللغة الفصحى في حد ذاتها ظاهرة اجتماعية، بيد أنه من المهم " أن ننظر نظرة جدلية إلى العلاقة بين الخطاب والبناء الاجتماعي حتى نتجنب مزالق المغالاة في تصور تحكم المجتمع في الخطاب من ناحية، وتصور بناء المجتمع في الخطاب من ناحية أخرى، فالتصور الأول يجعل الخطاب مجرد انعكاس لحقيقة اجتماعية عميقة، والتصور الأخير برسم للخطاب صورة مثالية باعتباره مصدرا للمجتمع" (**نورمان فيركلف، 2015، ص 88**) غير أن الثقافة الشعبية والشعر الشعبي يعد من أهم فنون التعبير الشائعة بين الجمهور والمتناقلة شفاهة بين أفراد المجتمع الواحد عبر أجيال متعاقبة من الزمن، ولكي نتعمق أكثر في مسألة لغته العامية، خاصة عندما " فقدت الفصحى جزءا من خصائصها النحوية والصرفية بفعل آثار التطور الصوتي والدلالي" (**عثمان سعدي، ، 2008، ص 111**) الذي خلق على إثره لهجات مختلفة للعامية، وهو ما يفتح المجال لتفسير

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

آخر يثبت علاقة الفصحى والعامية ويعززها على أنه إذا كانت " مجموعة من اللهجات تنتمي إلى لغة أم، وكانت هذه اللغة الأم نفسها ما تزال على قيد الحياة شائعة الاستعمال، فإن أية واحدة من فروعها غير جديرة بأن تسمى لغة إلى أن تموت اللغة الأم نفسها، فحتى ذلك الوقت يسمى كل فرع من فروعها لهجة، ومن ذلك اللهجات العربية، ومنها قديم مات، بينما اللغة ما تزال حية، وحديث هو هذه اللهجات العامية التي تعيش بجانب العربية الفصحى" (**حسن ظاظا ، دمشق، 1990، ص 122**) التي يمتلكها الفرد الجزائري بفطرته وسجيته، دونما حاجة لمعرفة قواعد النحو والصرف والاعراب، على الرغم من علاقة اللغة (العام) باللهجة (الخاص) التي تتميز كل منها بخصائص ومميزات، غير أنها تشترك في بعض الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تميز لهجة عن أخرى.

يستعمل مبدع الشعر الشعبي وقائله لغة بسيطة سهلة تؤسس لقاعدة سلوكية أخلاقية، مسهما في بناء المجتمع من جهة، وفي تعلم علوم اللغة العربية من جهة أخرى، خاصة وأنه وضع نصب أعينه محنة المستعمر الذي عد موضوعا ألهب القرائح وأجج العواطف ولا يزال، ووجه القلوب والعقول للتربية والأخلاق والعادات الحسنة وهو ما يكمن في وظيفته، فإن هذا " التوجيه الذي تختزنه الذهنية الشعبية كفيل بتكوين عادة سلوكية يكتسبها الفرد بالممارسة والمران إلى أن تصير خلفية تبقى عالقة في ذهنه" (**مصطفى أوشاطر، الجزائر، 2006، ص 302**) لذلك كان الشعر الشعبي ولا يزال مرآة عاكسة لواقع الناس ويومياتهم، هنا كانت الحاجة ملحة لتدوين وتسجيل هذا التراث الشفاهي الذي لا يزال حبيس إقليم الشاعر الشعبي، لا يتعداه ولا يتخطاه على الرغم من محاولات الأنثروبولوجيين التنقيب والبحث في فنون تعبيره وأغراضه ومواضيعه على غرار القصة الشعبية والألغاز والأحاجي والأمثال.

يعد الشعر الشعبي شكلا من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، هو "معلم من معالم الثقافة الشعبية، وسيلة لغوية عميقة التأثر، يصور جميع نواحي الحياة الصغيرة منها والكبيرة، وهو بشكل عام يغطي مختلف تفاصيل الحياة اليومية للفرد والجماعة" (**عبود زهير كاظم، السويد 2003، ص 01**) فإذا ما كانت نظرية عمود الشعر تؤكد على شرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته، فذلك ليس شرطا ضروريا في الشعر الملحون الذي ينبني على الإيقاع والموسيقى، التي يكون ناظمها بصفة أو أخرى أميا أو مثقفا متعلما، وبالتالي فإن الشعر هو القالب اللغوي المرن الذي يعب عن طبقة محدودة المعرفة أو مثقفة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لو بحثنا في أصل ونشأة الشعر الملحون في الجزائر، لوجدناه ينشطر إلى قسمين هامين، ألا وهما الشعر البدوي الهلالي والشعر الحضري، فأما الأول منهما " هو أقدم عهدا في المغرب الأوسط، فإنه تسرب إلى الشعراء الشعبيين بالمغرب الأوسط من شعراء بني هلال الذين رافقوا الحملات العسكرية التي زحفق على القيروان سنة 449 هـ وعلى الجزائر سنة 460 هـ" (**رابح بونار ، القبة، ع 68، 2000، ص 14**) وهذا رأي يجعل القصيدة الشعبية ثمرة للحملة الهلالية على الجزائر التي قدمت خدمة جليلة لسكان شمال إفريقيا من خلال تعريبها الشامل للمنطقة.

أما الرأي الثاني فيستمد الشعر خصائصه من أشعار بربرية، وهو ما ينفي تلاقح وانصهار الثقافة الجزائرية البربرية الأمازيغية في الثقافة العربية الإسلامية، يرجع إلى مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي(**عبد الحق زريوح، الجزائر ، 2008، ص 10**).

إن كلا من الهوية اللغة يمضيان قدما يأخذ الواحد منهما بيد الآخر، فعلاقتهما قوية جدا "إلى درجة أن بعضهم قد أكد أن اللغة هي التي تولد الهوية، وأن الهوية هي في جوهرها وعمومها مسألة لغوية أو ظاهرة لغوية ، وثمة اتفاق واضح بين أغلبية المهتمين بدراسة الهوية على أن اللغة العربية تشكل العنصر الرئيس والأهم في تحديد الهوية العربية" (**عبد اللطيف عبيد، ، الرباط، 2014، ص80**) على غرار الطبقة الاجتماعية والجنس والعرق لثقافة من الثقافات السائدة، التي تعد كمرجعية ومكونات مركزية وأساسية لها، فالعلاقة ها هنا تخضع للتغيرات الحاصلة في المجتمعات تاريخيا واجتماعيا ومختلف الخصوصيات الثقافية والدينية والحضارية لها.

من هذا المدخل يؤكد الأنثروبولوجيون أن "لكل ثقافة مقوماتها الخاصة التي تميزها عن باقي الثقافات، ولا يجب مقارنة أية ثقافة بأخرى مركزية ساد الاعتقاد بتفوقها" (**جليلة المليح الواكدي، تونس2010، ص 137**) وهو ما لعبه الشعر الشعبي أين أدى دورا إعلاميا راصدا مختلف الأحداث التي شهدتها الجزائر في فترة من فتراتها العصيبة التي قاوم فيها الأهالي المستعمر بكل شجاعة .

يؤكد الدارسون أن الهوية مجموعة من المميزات والخصائص المتعلقة بالإنسان يعرضها تعريفا بها عن مجتمعه ووطنيته كأن يقول أنا أنتمي لبلدي وألتزم بعاداته وتقاليد وأعرافه لباسا ومأكلا وطقوسا وغناء وشعرا، وهو ما يمثل مقتضيات للهوية الوطنية التي عددها غسان منير كالآتي:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

"1-مكان الولادة

2-روابط الأسلاف والأجداد

3-الانتماء القبلي

4-الالتزان بالعادات والتقاليد والأعراف

5-الالتزان بالقوانين

6-مكان الإقامة

7-الالتزام بالزي التقليدي

8-طول فترة الإقامة

9-الأسماء والألقاب

10-النشأة والتربية

11-اللهجة

12-الشكل والمظهر الخارجي" (**غسان منير، بيروت، 2002، ص 33**) إذ لا يمكننا أن نتكلم عن هوية وطنية خالصة متفاعلة مع البيئة الاجتماعية دون هذه المؤشرات التي يتأثر بها الانسان أو الشاعر الذي يتعهد الثورة وحوادثها المريرة، حتى أضحت ظاهرة نوعت من تشكيلات الخطاب الفني الشعبي، وفرضت حرية محدودة يناضل من أجلها في حدود ما تسمح له المعطيات الثورية التي تفرض ذاتها كلما أقبل أن يصورها، فإنها في هذا تلتقي وهوية "الشيء وعينيته ووحدته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له كل واحد" (**الفارابي، 1349، ص 21**) في أبسط مفهوم لها، شهد على إثرها المجتمع صراعا طبقيا حدد مسارها ونهض بالأمة، وحمل الشاعر الشعبي مسؤولية الإصلاح وتغيير المجتمع، ذلك أنه يجب على "الأديب أن ينشيء من الأدب ما يذلل الحياة وييسر وسائلها، ويتيح للجائع أن يشبع وللعاري أن يكتسي وللمريض أن يصح، وللظمآن أن يجد الري، ويصبح الأدب إذن أداة من أدوات وزارة الشؤون الاجتماعية تستعين بها على تحقيق ما أنشئت له من الأغراض" (**طه حسين ، لبنان 1985، ص 61**) والصور محاولا إعطاءها بعدا رمزيا قوميا، فقد بدا جليا أن تصوير الثورة في الشعر الشعبي ليس مجرد محاكاة لصور بيئية طبيعية عاش فيها الشاعر ولا تسجيلا لأفعال كان يقوم بها وأبناء قريته ووطنه في حياته اليومية، فقد كانت الثورة ولا تزال رمزا فنيا يشع بدلالات تستكشف رؤية عميقة للواقع، وحسا قويا بالمأساة الإنسانية في سياق يربط الشعر الشعبي بالعقيدة والدين كأحد منابعها.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كل هذه المعطيات نجد لها أثرا في الدراسات الأنثروبولوجية التي اهتدت للإنسان سلوكا وأفعالا، فضبطت على أن موضوعها "الانسان وأجداده وأصوله وعاداته وتقاليده وقيمه وخبراته وممارساته وصنائعه ومهاراته وتراثه الحضاري والمادي والمعنوي، منذ أقدم العصور والأزمنة وحتى يومنا هذا" (**محمد عباس إبراهيم، الإسكندرية 2006، ص 05**) وهذا ما نستدل عليه في معرض حديث الدارسين والباحثين في حقلها على أنها "العلم الذي يدرس الانسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة... ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكا محددا، وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الانسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل...ولذا يعتبر علم دراسة الانسان (الانثروبولوجيا) علما متطورا يدرس الانسان وسلوكه واعماله" (**أبو هلال أحمد، عمان 1974، ص 09**) وهو حال الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر التي تحاول التركيز على التباين الحاصل بين الأوساط الشعبية عبر حقب زمنية متعاقبة، بحكم التنوع الثقافي عبر ربوع الوطن شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، واختلاف العادات وقيم وأنماط الحياة التي تعد مستودعا للدلالات ومصدرا للتأويلات المختلفة اختلاف دارسها، وهو ما سنحاول الكشف عن خباياه وسبر أغواره الخصبة من خلال قصائد الشاعر قندوز قادة الوطنية الثورية.

2-منطلقات شعر قندوز الوطني الشعبي:

مهما بلغت محاولات الشعراء إضفاء صفة القداسة رابطين شعرهم بالدين والعقيدة، إلا أن قندوز حاول إيجاد منبع تغترف منه قريحته وعناصر صوره، فلجأ في ديوانه "في الشعر الشعبي" ونقل تجربة حياتية وجماعية لأبناء منطقته التي لا تختلف عن باقي تجارب أبناء الوطن، فلمسنا من خلال عناوين قصائده الثورية الوطنية نوعا من الصراع القديم والمتأصل مع كل دخيل أجنبي حاول سلب حريتنا، فنأخذ على سبيل المثال (الأمير عبد القادر، اسمعوا نعيد لكم ما صار، الثورة، نوفمبر لينا نادى...) فكانت كرد فعل لرفع الغبن والمعاناة للطبقة الشعبية الكادحة التي رفضت الانصياع لأوامر المستعمر على الرغم من أنها لم تكن حرة في رسم آمالها أو حتى في تصرفاتها.

الموضوع الأساسي الذي تكرسه قصائد الشاعر مرتبط بوظيفة الفرد وسلوكه ورد فعله، ما يعطي طابعا لا قسريا لعلاقة ما يعتبر نفسع زعيما بمريديه، وما يحوز عليه من كيزة الأمر والنهي، حين عرقلت اللغة العربية عن أداء وظيفتها في تصويرها لمعاناة الأنا الجزائرية، لكن تبقى هذه المعاناة رهينة الشرعية، فالمجتمع الجزائري يستمد شرعيته من حيث كونها رابطا تراثيا وحضاريا يرفض الانقسام والخضوع، فوجود

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الذات الجزائرية مرهون باتباع قواعد وقوانين وأعراف وصفها الأجداد والأسلاف ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنها ولا استبدالها على الرغم مما تعرفه المجتمعات الحديثة والمعاصرة من ثورة معلوماتية تقنية واسعة النطاق عبر منصات التواصل الاجتماعي أو البرمجيات التكنولوجية المعاصرة.

تجدر الإشارة إلى أن علاقة الذات الجزائرية مع الآخر أو مع المحتل الأجنبي جاءت على شكل ثنائية ضدية أججها الصراع وأسسستها العزيمة، فلكي "يجد المرء ذاته فعليه أن ينشدها في فعل الإرادة" (**عبد الرحمن البدوي، 1981، ص 287**) حتى يساهم في نصرة القضية الوطنية والإنسانية العادلة، لا سيما الفترة التي انبرى فيها الشعراء يدعون للجهاد والمقاومة والمشاركة في المقاومات الشعبية والوطنية ونصرتها.

يعد الشعر الشعبي سجلا حافلا بالحوادث والانتصارات والانكسارات التي شهدتها منطقة الغرب الجزائري، ووثيقة تاريخية للحوادث التاريخية، حين لم يفصل الشاعر الواقع السياسي والتريخي والاجتماعي وحتى الجمالي، بعدما أضحت الأرض تمثل ذاكرة ووحدة الشعب الجزائري، وهو ما يوضحه المقطع الموالي من قصيدة (نوفمبر لينا نادى):

حان الوقت أنثور عليه لي عطى العاهد يوفيه بالله الأكبر أناديه
جبالها ووطى
نوفمبر لينا نادى نادى شعب أو قياده بيه اتسموا شهادى
سلف على لسلاف من غرنطا
من البلاد لازم ترحل ذا سلاكك هو الحل شعب صعيب ماهو ساهل
تنصرني والله أعطى
أوطنا لازم يبقى ردیناه من السرقة كنا عليه في خنقى
ذا الكافر خلى الأثار في رقان مازالت لضرار أنديروا زورا للأدرار
ونسالوا شعب أو سلطة

ثورة أنعيدها لجيل الصاعد تاريخها عليها شاهد على الوطن الشعب تمرمد(**قندوز قادة 2016، ص ص 162–163–164**)

تراوحت الصياغة بين الماضي والحاضر وبين ماهو سائد مع الذي كان، وهذا التفاعل بين التاريخ والحداثة أنتج تركيبة أثبتت فاعليتها واستمراريتها في إنتاج خطاب فني مزج بين الاثنين وظل حاضرا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

من خلال ذاكرة لم تفقد صلتها بالتاريخ أو بماضي الفرد الجزائري، ذلك أنه يمكن للهوية أن تتفاعل مع معطياته، لذلك صورت القصيدة عزم الأهالي على مقاومة المحتل (أنثور عليه) بكل بسالة وشجاعة، وتغنى الشاعر بأبطال الثورة وانتصاراتها كانتصارات فتح المسلمين للأندلس وتوقهم للجهاد في سبيل الله، فإذا كان الفتح يمثل بداية التواجد الإسلامي في بلاد الأندلس، فإن المقاومة الشعبية الجزائرية تمثل هويتنا وكياننا، لذلك كان لابد من خروج المستعمر الغاشم بكل الوسائل والطرق (لازم ترحل)، الذي خلف وراءه خسائر مادية وبشرية واجتماعية ونفسية لا تزال آثارها راسخة اليوم.

3–المقاومة بين المضمون الدلالي الصوري والفكر الأيديولوجي:

توحي قراءة القصيدة الثورية المعاصرة بدلالات نفسية واجتماعية وأخرى ذات طابع أيديولوجي، يغلب عليها طابع الحنين والغضب والانتفاضة جراء الممارسات الوحشية الفظيعة في حق الأهالي الأبرياء، فعلاقة الشاعر بأرضه علاقة إعادة الذاكرة الجماعية كون الأرض "دعامة أساسية لكل تصور إنساني، وكونه منطلق كل دراسة تريد أن تدرك أبعاد النص وخلفياته النفسية والاجتماعية" (**عقاق قادة، دمشق 2001، ص 259**) وهو حال الشاعر الذي انتقل من التقريرية والسطحية إلى مرحلة التأثير في إحدى قصائده تحت عنوان (الأمير عبد القادر)، فقد حفل زمانه بأحداث عظام، فمن مقاومة شاملة ومحاولة لخلق أمة متمدنة إلى ثورات وفتن وحروب ومعارك، ونفي وتشريد، فتأثر بكل ذلك أين استلهم بطولته وجهاده من وعيه بالعالم الذي يحيط به، فبإدراكه لنوايا الاستعمار الذي تفنن بكل الأساليب الممكنة لتجريد الشعب الجزائري من هويته الثقافية الإسلامية، وابدالها بثقافة مسيحية غربية جديدة، الشيء الذي بعث فيه حسا جهاديا ثوريا بطوليا، وبهذا "تصدى لهذا العدو بالخطة الشاملة للحرب مستنفرا كل ضمير حي في العالم، منبها إلى هذا التحول الجهنمي في رسائل الصراع وانتقال أهداف الحروب من المغالبة التقليدية إلى التخطيط لإبادة الشعوب، فمقاومات "شميل" بالقوقاز، و"عمر الغوتي" بإفريقيا الغربية و "محمد أحمد" بالسودان، جعلت الأمير قدوة واتخذته مثالا للجهاد الذي فرض على كل صليبية وكل استعمار، أن يدرك أن الشعوب ذات الماضي الحضاري الكثيف لا يمكن أن تباد، أو أن تحول عن هويتها" (**عبد المجيد مزيان ، الجزائر 1983، ص 05**) فهاجت هذه الأحداث شاعرية وانطلق الشعراء يرددون تجاربه البطولية الحافلة على حد قول قندوز:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بديت نظان بالحي القادر يا عبد القادر ايسهلي فالنظام ونسال العراف
يا بن محي الدينيا ضد الكفار يا عبد القادر أورث الجهاد من أبطاله لسلاف
....
نادى لرجال الحيف بيهم ايناقر يا عبد القادر هبوا هب ارياح امدينة ورياف
تل أو صحرى الحقهم كل اخبر يا عبد القادر سمعوا للنداء مكان الخلاف
العروبة والوطن ودين الطاهر يا عبد القادر وخزا الخزينة بسادته الأشراف
شجرة الدردار شاهدة ما عادت سر يا عبد القادر زعما لعراش جاو مكان الخواف
داروا عاهد أمتين الكافر يتكسر يا عبد القادر تاحدوا براي صحيح اتقسموا راحوا اضعاف (**قندوز قادة ، ص 153**)

يبدأ الشاعر مقطوعته بضرورة الاعتزاز الوطني لكل انسان مقاوم، لعبد القادر زعيم المقاومة الشعبية، فتراه في هذا المقام يسمو عزما إذا ما قيس بالفارس البطل الذي بويع تحت شجرة الدردار بالغيطنة بولاية معسكر، وهو الذي حث على إبداء الشهامة كشرط ضروري لكل قائد لا يهاب العدو ولا يهاب المخاطر في كل ربع من ربوع الوطن.

اهتمام الأنثروبولوجيا بتاريخ المقاومة ونضال أبطالها يتسع ويتزايد بشكل ملفت نظرا لما أحدثته وتبوأته من منزلة في تاريخ هذه الأمة، إذ ليس ذلك من باب الإسراف وتفخيم الأنا، إنما لتوضيح صور توزعت في ثنايا المضامين والقيم النبيلة التي قامت عليها الثورة، حماية للأهالي عبر الوسائل الحربية المتاحة والاستراتيجيات المخطط لها تحقيقا للنصر والحرية، فالحرية المطلقة لا تحققها إلا ثورة عظيمة تمكن الانسان من استرجاع انسانيته المسلوبة، وهذا ما آمنت به المقاومة وسعى لتحقيقه الجزائري على لسان الشاعر في قصيدته (الوطن) قائلا:

ذا الوطن يبنيه الشعب اليا تحد يا شعب المخلص لا تنسى أتفكر
شكون زعك فرنسا وشكون جاهد نادى المجاهد الله أكبر
كل نضنا شعبي ولي كان قايد اتحدنا بالله زعكنا الكافر
على الجهاد حارم نومه ما يطيب يرقد لو كان طايب بالنار ما يخبر
دمه حامي ماهوش جامد ما يعيد سره لو كان أمقزر (**قندوز قادة ، ص157**)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تناول الشاعر صورة الأرض والوطن بشتى أشكالها وعناصرها اللغوية ودلالاتها التي تختزن في طياتها وجودا كونيا وحضورا يستدعي نظرية (أنا أنتمي إلى هذه الأرض، فأنا موجود)، فيستحضر الانتماء التاريخي للأرض ومقدساتها، حتى يستطيع الارتقاء بها وخلق معادل شعري بكلمات شعرية شاعرية بسيطة، تتداخل عناصرها الحركية والنضالية لدى كل قارىء يفضح صور الاستعمار الغاشم، فالشاعر يستنهض همه ويسرد حوادث التاريخ والمقاومة والنضال إيمانا منه أن المقاومة " ليست غاية في حد ذاتها، بقدر ما هي وسيلة لبناء دولة عصرية تنهض على بناء جيش عظيم ومنظم، وتأسيس إدارة عادلة، ونظام جبائي نزيه ومؤسسة العدل ومراكز للتعليم...وفهم حقيقي للدين ليستجيب مع حاجات العصر، هذه هي الرؤية البطولية الحقة التي تشكل وعيه الممكن، الذي يطمح إلى بناء جزائر عصرية، وما الكفاح البطولي إلا مرحلة حاسمة لابد من اجتيازها لتحقيق الرؤية الطموحة"(**نور الدين صدار ، 2010، ص 378**).

خاتمة:

إذا كانت الهوية كمفهوم تعكس شخصية الفرد الجزائري برموز سيادته الوطنية وعاداته وتقاليده ومعتقداته وأعرافه التي تختلف من منطقة لأخرى، فإن وجود الدراسات الأنثروبولوجية ضرورة ملحة للتوغل في تاريخه والتحقيق في نشاطه وآثاره، ومن هذا المنظور جاء هذا النوع من الدراسة للتوغل في العالم الداخلي للقصيدة التي تضرب أصولها في تاريخ الثورة الجزائرية بما تضمنته من الإشادة والافتخار.

إيمان الشاعر بالقضية الجزائرية والأخذ بأسبابها، كان من بين أكبر عناصر القوة في الاستراتيجية الجهادية للثوار دفاعا عن الأهالي، وهو ما أكسب ديوان الشاعر قندوز قادة صورا ودلالات تعكس بشاعة وقسوة المستعمر من جهة، كما تمثل معاني القيادة والجهاد والتضحية والأخلاق السامية حين تجلت رموز المقاومة التي نظر اليها المحتل على أنها تمرد غير شرعي، تمرد اتسم بالخصوبة ومنح الشعراء موضوعات أثرت نصوصهم بمحتواها.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قائمة المصادر والمراجع:

[1]– عمر قبايلي، مدخل للثقافة الشعبية العربية، مقاربة أنثروبولوجية، الأثر، مجلة الآداب واللغات، ع07، ماي 2008.

[2]– ياسين النصير، المساحة المختفية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1995.

[3]–صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2002.

[4]–نورمان فيركلف، الخطاب والتغير الاجتماعي، تر: محمد عناني، المركز القومي للترجمة، ع 2593، ط1، 2015.

[5]– عثمان سعدي، اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها، مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال وبعده، أعمال الندوة الوطنية، الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب، منشورات المجلس، 2008.

[6]–حسن ظاظا، اللسان والانسان، مدخل إلى معرفة اللغة، دار العلم، دمشق، ط2، 1990.

[7]– مصطفى أوشاطر، القيم الأخلاقية وآداب السلوك الاجتماعي، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، عدد خاص بالتراث الشعبي، الجزائر، 2006.

[8]– عبود زهير كاظم، قراءة في كتاب مدخل إلى الشعر الشعبي العراقي، السويد، ط1، 2003.

[9]– رابح بونار، الشعر الشعبي وتطوره الفني، مجلة آمال، قصة الثقافة، القبة، ع 68، 2000.

[10]– ينظر، عبد الحق زريوح، دراسات في الشعر الملحون الجزائري، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2008.

[11]– عبد اللطيف عبيد، الغة العربية ومجتمع المعرفة، صيانة الهوية وبناء المستقبل، أعمال مؤتمر اللغة العربية، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع73، 2014.

[12]– جليلة المليح الواكدي، مفهوم الهوية، مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة في الأنثروبولوجيا وفي علم الاجتماع، مركز النشر الجامعي، تونس، ط1، 2010.

[13]– غسان منير، معالم ومؤشرات الهوية الوطنية ومقاييسها، الهويات الوطنية والمجتمع العالمي والإعلام، دار النهضة العربية، بيروت، 2002.

[14]– أبو ناصر محمد بن محمد الفارابي، التعليقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1349.

[15]–طه حسين، خصام ونقد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط12، 1985.

[16]– محمد عباس إبراهيم، الأنثروبولوجيا (علم الانسان)، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، د ط، 2006.

[17]– أبو هلال أحمد، مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية، المطابع التعاونية، عمان، د ط، 1974.

[18]– عبد الرحمن البدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1981.

[20]– قندوز قادة، ديوان "في الشعر الشعبي"، محافظة المهرجان الثقافي المحلي للفنون والثقافات الشعبية، سعيدة، 2016.

[21]– عقاق قادة، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، إتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط، 2001.

[22]–عبد المجيد مزيان، عبقرية متكاملة، مجلة الثقافة، الجزائر، ع 75، 1983.

[23]– نور الدين صدار، البطولة، الانسان والتصوف، تنويعات الرؤية والتشكيل في شعر الأمير عبد القادر، مقاربة بنيوية تكوينية، دراسات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 37، م2، 2010.